بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كثـــيراً طيبـــاً مباركـــاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، وصلى الله وسـلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

أما بعد

فلاتزال الدروس العلمية، خُطة نهوض الأمة، وبوابة رفعتها، ومنابع عزها ويقظتها، لأن العلم مفتاح الخيـور، ومغلاق الشـرور، ومهما استوحى الإنسـان المتأمل من كلمة (العلم) دلالات وظلالاً وارفـة، فلن يـوفي هـذه الكلمة حقَّهـا، وهي الـتي أمِر صـلى الله عليه وســلم بــالتزود منُها (**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمــاً) (طــه: 114)**...

وحينما تشاهد الدروس العلمية تنـير المـدن والمحافظـات، وتشع بها مسـاجد المسـلمين وتجمعا تهم، ينشـرح الخـاطر، وتطـرب النفس، وتعز الروح.

لأنها الخطة الراشدة، والمنهج المحكم، والإعداد المطلوب.

ولكننـــا، ورُغم كل فضـــائل تلك الـــدروس، لازلت من دعـــاة (**المسـلك التجديـدي)** لهـا، والاهتمـام بطريقة أدائها وتناولهـا، حـتى تكـون مسـتوعبة، ومنسـجمة مع الحيـاة الجديـدة للشـباب، وتحرص على تلبية رغباتهم وتطلعاتهم..

ومن ملحوظـاتي عليهـا، حـرص الشـيخ أو العـالم على (التربية العلمية) فيها فحسب، كسرد الفوائد، وتفكيك، العبـارات ورصّ الخلافـات، وهـذا لا بـأس به من حيث المبـدأ، ولكن المشـين، هنا عـدم تجـاوز الشـيخ لـذلك، وإغفاله للجـــــــوانب الاجتماعية والخلقية والفكرية والبنائية للدرس!!

بحيث إن صلته بالتلاميذ، تكمن في الدرس، وحـلّ عبـارات المتن فقط، ولا يحـرص على التعـرف عليهم واحتـوائهم وبنـاء عقـولهم وأخلاقهم، وإعدادهم للعمل الدعوي والفكري الناهض.

وهـذا تقصـير علمي ومشـيخي من فضـيله الشـيخ !! لا أدرى ما الـداعي له لا سـيما، وهو حـريص على إعـادة مجد الأمـة، ويحس

بمآسي المسلمين، وحاجة الأمة للطاقات العلمية والدعوية، التى تحمل العبء وتضطلع بالمسئولية، وتجدد دور العلماء المصـلحين عبر التاريخ...

ولــذلك أحببتُ أن أجِّرد في هــذه الرســالة (وظــائف أخــرى) للــدرس العلمي، أرى أنها مكلمة لنجــاح خطة الـــدرس التحبيبية للعلم، بحيث يزيد من استمســاك التلاميذ بشيخهم ودروسه... وكثيراً ما نسمع بمن عقد دروساً علمية، ثم لم يمض عليها شهر أو شهران، حتى تلاشت وانقطعت، وركن الشــيخ إلى عزلته أو دنيــاه، وهــان مســتوى الــدروس في أذهــان الشــباب والله المستعان.

ولهذا وجب علينا التنبيـه، وتعين التـدارك، والله من وراء القصـد، وتبارك وتعالى، هو ربنا وإليه المآب.

الأربعـــاء 23 محـــرم 1431هـ
29/12/2010م

(1) بسط الخُلق :

قد يمهر الأسـتاذ علميـاً ، ويحـذق فقهيـاً فيسـوق، ويحقِّق ويـدقق، ويعلل الأحكـام، ويناقش النقاشـات المذهلـة، ولكنه قد يضـعف خُلقيـاً، ولا يظهر مسـحة أدبية تقيض بالتواضـع، والطيبة وحسن السمت، وسلامة الصدر، بحيث يهواه تلامذتـه، ويعشـقون علمه وفرائده ! وكأنه عزل خلقه لأشياء أخر في حياته، ويرى أن يؤدي الدرس العلمي بكل قوة وصرامة، ويرى التلاميذ شـدته في الطرح السؤال والنقد، والتعنيف!! ونرى أن هـذا مسـلك مشـين، من شـأنه أن ينِّفر التلاميـذ، ويضـعف محبة الشـيخ في قلـوبهم، والمستحسن تقـديم العلم مخضـوباً بـالخلق النبيل (**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم : 4).**

وجعل الصـــرامة مطليه بطلاء اللين أحيانـــاً، لأننا مع رفضـــنا للصـــرامة المطلقـــة، قد نكـــره اللين المطلـــق، البـــاعث على الاستسـهال، والحامل للتلاميذ أن يأخـذوا العلم بتلاين واسـترخاء والله يقول : (**خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ) (البقرة :63)**

وقد اسـتفاض عند العقلاء، أن العلم لا يـؤتى بسـهوله، ولا يتُقلد بارتخاء كما قال الإمام يحي بن أبي كثير رحمه الله (**لا يُستطاع العلم بُراحة الجسد).**

(2) حسن التودد :

وهو ضــرب آخر من حسن الخلــق، يحتاجه الشــيخ لتعميق صــلته بتلاميــذه، وتقــريبهم للعلم والكتب، فكما أن العنف منفر والتودد مدنٍ ومقرب، بل سيجعلهم يستمسكون بشــيخهم وعلمه وتبنيه والدفاع عنه.

كما قال الله **: (وَلَوْ كُنتَ فَظاًّ غَلِيـظَ القَلْبِ لانفَضُّـوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ) (آل عمران : 159).**

وقيل في مشهور الأشعار :

أحسِنْ إلى الناس تستعبدْ قلَوبهُمُ فلطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ

وأولى مقــدمات الإحســان، التــودد لهم، ورحمتهم، والإشــفاق عليهم، وإدخال السرور عليهم، كما هو الهدى النبوي في التربيــة، علم مهذب، وفقه مؤدب، وتربية حانية، وتنبيه مشفق.

يقـــــول جرير بن عبدالله الجلي رضى الله عنه : (ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أســلمت، وما رآني إلا ابتسم في وجهي).

وقـــال معاويه بن الحكم الســـلمي في قصة الصـــلاة المشـــهورة (فبـــأبي هو وأمي رســـول اللـــه، ما رأيت معلماً أحسن تعليما ولا تأديباً منـه، والله مـاكهَرني ولا ضربني).

(3) اللقاء والزيارة :

نريد لقــاء الشــيخ بالتلاميذ يتجــاوز حــدود الــدرس العلمي الجاف، ليصير أحياناً لقاء حميمياً أبويــاً، يفتح الشــيخ لهم صـدَره، ويسمع مشكلاتهم، ويجيب على فتاويهم وتطلعــاتهم، **ومثل ذلك يفيد الشيخ بالآتي :**

1- يعرفه على عقولهم وشخصياتهم.

2- يجعله يمايز بينهم ، وكشف استعدادتهم العلمية والدعوية.

3- يكسر حواجز الصمت لديهم، ويعرفهم على شخصية شــيخهم، ومدى تقبله لهم.

4- يعمِّق الصلات، ويكشف معـالم التعـاون الـدعوي والاجتمـاعي بينهم.

5- يكشف مدى هممهم، وحرصهم على العلم، ومقـدار عـزائمهم واشتعالهم.

6- جعلهم وحدة اجتماعية متآخية.

ويزيل ما بينهم من إحن وشـــــحناء، يحصل كثـــــيراً بين الطلاب المتنافســين، بحيث يقــوى الأواصــر، وتتماسك العلائــق، ويــبيتون كالبنيان المرصوص، يشد بعضهم بعضا، ويســتعملهم في النــوائب والمهام.

وإضافة إلى لقاء فصلي، أو شــهري معهم، يــزور بعضــهم، ويعــود مريضهم، ويتواصل ولو بالهاتف والجوال، ويقضي حــوائج بعضــهم حسب استطاعته، ليبرهن لهم السنن والصــحاح، بالفعائل الملاح، وكذا هو الشيخ الســني يقــول ويفعــل، وينصح ويطبــق، ولا يكــون خطيبــاً يُــرى عل المنــبر، أو عالمــاً في الحلقة فحســب، والله الموفق.

وقد كــان صــلى الله عليه وســلم يســأل عن صــحابته، ويتفقد أحوالهم وكذا كان أئمة الإسلام، وقد عاد الامام أحمد تلميذه بقيّ من مخلــد، وســلم عليه في القصة المشــهورة ذات الـــدروس العجيبة.

(4) الأبوة :

هناك أبوتان نسبية، وعلمية، والأولى ذهبت، والثاني لا تـزال قائمة ما وجدت الحلَق والدروس، وعمت المشايخ والعلماء الذين يرعون التلاميذ بعلمهم وحبهم وتلطفهم.

بل إن بعض الشيوخ لفضله وتدفق علمه، يلازمونه تلاميـذه مـدداً طويلُه، أكثر من جلوسهم مع آبائهم، فهلا اسـتحق هـؤلاء مسـمى (**الأبوة**) الذي جعل مهم شبه أوصياء على التلاميذ، علماً وفكـراً، وتوجيهـاً وتسـديداً، بل ربما اطلعـوا على خـواص التلاميـذ، وحل مشاكلهم، ودفعوا بهممهم وعزائهم.

إن للشـيخ مقامـاً جليلاً في معرفة تلاميـذه، وقيامه بـدور الأبـوة لهم سـيجعل منه (**الشخصـية المهابة**) والعظيمة عنـدهم، بل والمحبوبة لديهم، وسيسهل قضايا العلم والفكر التى يريد ايصالها لديهم، وسـيحظى منهم بكل منـائر العـون، والمـوآزرة والتشـجيع وسيكون طريقاً وسيعاً إلى صـناعة الرمـوز والقيـادات الدعويـة، الـتي نبهنا عليها في رسـالة (**الفـراغ الصـحوي الإسـلامي**). فراجعها إن شـئت، فقد حكيت فيها مخـاطر الفـراغ الصـحوي الإسلامي.

(5) المحاورة :

يسـيئ بعض العلمـاء للـدرس العلمي إذا ألقـاه بصرامة وقمعية، ترفض الحوار والنقد والاستفسار !!

بل يجب على الشيخ الإصغاء لهم، وجعل مساحة زمنيـة، في آخر الـدرس مثلاً للسـؤال والنقد والتنبيـه، ليحـرك هممهم، ويـذهب سآمتهم كما قال الله **(وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْـرِ) (آل عمـران : 159).**

وقال : (وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (النحل : 167).

ومثل هـذه المحـاورة سـتثري من فاعلية الـدرس، وتفتح آفاقـاً للبحث والفهم والسـؤال، ويعـزز ثقة التلاميذ بأسـتاذهم، ويكمل لهم الفهم والاستيعاب، لأن الأسئله خاتمة الـدرس، تسد فجـوات الفهم لـدى المسـتمعين، وتـوحي لهم بشـجاعة الشـيخ الأدبيـة، وقدرته العلمية على الأخذ والـرد، والبيـان، والإفصـاح، ورحم الله امرءً عرف قدر نفسه.

وأما رفض السـؤال بالكليـة، فهو غطـاء قمعي يخفي تحته جهل الشيخ أو عناده، أو تخلفه وسـوء خلقه والله المستعان.

ومن فوائد المحاورة، صناعة العقلية النقدية لـدى التلاميـذ، ورفع القداسة عن العلماء، وأقوالهم، الخارجة عن الوحيين، وأن العبرة بـالنص الشـرعي وما عـداه، يؤخذ او يـترك كما قـال مالك رحمه الله.

(6) الاصطفاء : :

كل المقـدمات التربوية السـابقة، سـتهيئ للشـيخ فرصة أن يصـــطفي من هـــؤلاء النخبة الموهـــوبين، والأحـــــرار المتحمســــين للعمل العلمي والـــــدعوي، ويخصهم بنوع تربية وتوجيه، وشحذ وبناء. كما كـان يفعل صـلى الله عليه وسـلم مع أبي بكر وعمـر، وقـال البخـاري في صـــحيحه في **صـــحيحه (بـــاب من خص بعض أصـــحابه بـالعلم...) وذكر بعض الفوائد المخصوصة لمعـاذ رضى الله عنه.**

وهــذه خطة منهجيــة، يغفل عنها كثــير من المشــيخه العاقــدين للدروس العلمية، وفائدة **هذا الاصطفاء ما يلي :**

1- تهيئة وتفجير طاقات التلاميذ المميزين.

2- إعدادهم للمراحل الآتية من العمل والجد والاجتهاد.

3- إبرازهم أمام زملائهم لكفاءتهم واقتدارهم.

4- إنابتهم أحياناً في الصلاة والإمامة والتـدريس إذا صح نجـاحهم واقتدراهم.

5- تكليفهم بمهام علمية، كما سيأتي بيانها خاصة.

ويحـاول الأسـتاذ الكـريم أن لا يظهر الميل الشـديد إلى هـؤلاء، ولكن بل يعتـني بـالجميع، لئلا يوغل الصـدور، ولكن يخصّ أولئك بنوع تربية واصطفاء.

ويعمد إلى تشـــجيع الجميـــع، وإشـــعال عـــزائمهم، ودفعهم إلى محاسن الأمور وتحذيرهم من سفسافها.

(7) التكليف :

هو نـوع اختبـار يجريه الأسـتاذ مبـدئياً مع تلامذتـه، ليكتشف هممهم، وقدراتهم العلمية والذهنية والدعوية، نحو :

- من يبين معنى هذه الكلمة اللغوية من المعاجم؟!

- من يذكر شروح هذا الكتاب؟!

- من يأتنا بتخريج هذا الحديث؟!

- ما صحة نسبة هذا القول إلى العالم الفلاني ... وهلم جرا؟!

من يلق خطبة في جامع كذا وكذا؟!

- المؤسسة الفلانية تحتـاج إلى عـاملين! من لديه المقـدرة على ذلك؟!

حتى يرى عمق الاستعداد والتجـاوب إلى العلم والـدعوة، ولـيرى الهمم الثاقبة، والسعاة الحقيقيين للمعرفة ... لأنه كما يقال :

خلق الله للمعالي رجالاً   ورجالاً لقصعةٍ وثريدِ

وهو بهذا المسلك، يبعث فيهم روح البحث العلمي، ويعرفهم على الكتب، ويسوقهم إلى المكتبات، ويجعل منهم صـيارفة بحث وجد وسؤال ودعوة.

وكم من مسـألةٍ، بحثناها في أول الطلب بفضل شـيخ جليل، كان لهما أعظم الأثر في نفوسنا، وسـاقتنا إلى أفنان المعالي، ومزاهر الجد والاتقان.

وسـيبين من خلال التكليـف، مَن الطـالبُ الجـدير بـالتوقير والاصـطفاء والإنابة حـتى يكـون سـيداً على زملائـه، بفضل جـده ونباهته، ويرتضيه الجميع ؟!

ومثل هذه التكليفات، ستعدهم لأعمال أخرى مؤسسية منتظمة، لأنه انكشف للشيخ المستعد للعمل من عدمه.

<u>(8) الإنابة :</u>

ربما جـاء يـوم من الأيـام، يتخلف الشـيخ فيه أو يمـرض، أو يتـأخر قليلاً، فلا يجد من ينوبه إلا جيلاً صـنعه وربـاه، وهيـأه لمثل تلك المواقف التاريخية الشديدة.

فقـــرب الشـــيخ واهتمامه بتلاميـــذة كـــافٍ أن يصـــنع له نوابـــاً يسـاعدونه، ويصـطفي منهم فضـلاء للصـلاة والـدرس والخطابـة، ولما أنـاب صـلى الله عليه وسـلم أبا بكر للصـلاة بالنـاس فقهها جمهور الصحابة، وأنه أفضلهم، وأحق بهذ الأمر **حتى قـال عمر الفاروق رضى الله عنه (رضـيه صـلى الله عليه وسـلم لديننا، أفلا نرضاه لدينانا)؟!.**

وفائدة ذلك :

1- إعانة الشيخ، وسد فراغ تخلفه.

2- إبرازه للناس كقدوة علمية راجحة.

3- تجربته أمام الملأ هل ينجح أم لا ؟!

وكل ذلك سيظهر للعيان، ويتبين صلاحيته من عدمها ؟!

4- حفز الطاقـــات وتشـــجيعهم للعمل والمشـــاركة الميدانية والاجتماعية.

لكن هـــذه الإنابة مع أهميتها للشـــيخ الفاضـــل، إلا أننا لا نريد الاستعجال بها حتى تكتمل الثمرة، ويبدو النضج، ويصدق النموذج.

وإلا كنا مسـئولين عن تسـويد الجهلـة، وقطع الظهـور، وصـناعة الكبرياء والغرور، لاسيما لحـدثاء الأسـنان، الـذين ينقصـهم حسن التـدين، والتمـيز أو يخـالطهم الانـدفاع والحمـاس الزائـد.. والله الموفق...

(8) الإثابة :

وهي التي تأتي على شكل هدايا وجـوائز، يقـدمها الشـيخ للتلامـذة المتفـوقين والمواظـبين، ودواعيها مايلي :

1- الاختبـار لهم بالأسـئلة في موضـوعات سـابقة، أو تقسـيمهم لفريقين ومن ثم امتحانهم.

2- أو إعداد مراجعة عامة فصلية، ومن بان تميزه، كوفئ بالهـدايا والحوافز.

3- تكريم المواظبين والمهذبين بشئ من الكتب والأدوات العلمية التي تبرزهم أمام الناس، وتعلي من شأنهم.

وهذه الجوائز والحـوافز ترسخ في نفـوس أهلها رسـوخاً لا يمكن تبديلـه، ويكـون لها بـالغ الأثر على همتهم وأنشـطتهم، والمقصد منها التشـجيع والحفز وإشـعال جـذوة التنـافس الشـريف بين الحضور.

وبإمكان مكاتب الدعوة وشئون المساجد الإشراف على شيئ من ذلك، فإن تم تقصيرهم، سعى الأستاذ بنفسه أو استعان (برجال المال واليسـار) لـدعم هـذا الجـانب التربوي حول الدرس.

ومن صـور الاثابة الخـروج بهم في رحلة برية للأجمـام، أو زيـارة عمـرة، لاسـيما إذا حصل ما يـدعو لـذلك كجـدهم، وانضـباطهم وتفانيهم في حب العلم وخدمته.

(9) التزكية :

كما يهتم الشيخ بالتركية العلمية، فلا يسـوغ له أن يضيع التزكية الخلقية والإيمانية، كما قال تعالى : (قَــدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَـابَ مَن دَسَّـاهَا) (الشـمس : 9-10).

ومن معــالم دعوته صــلى الله عليه وســلم التزكية **(يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِــكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَــابَ وَالْحِكْمَــةَ وَيُــزَكِّيهِمْ) (البقرة:129) أي يطهر نفوسهم، ويصلح أعمـالهم من كل الشوائب والرذائل.**

وحينما يبدأ الشبان في الطلب، تعـتريهم أخطـاء سـلوكية، وتنـأى نفوســـهم عن الهـــدي الحكيم، فيتعين على الأســـتاذ الاصـــلاح والتهذيب، يُصلح بخلق نفسه، وبسداد قوله الذي يجعله في خضم ســــيرته العلمية لا يغفل عن التوجيه الأخلاقي والأدبي، نحو أدب الطلب وصـــفات المســـلم، وأخلاق العلمـــاء، وتعاهد القلب، وطريقةالسـؤال، وضـرورة التـأدب في مجـالس العلم، واحـترم المشـيخة والعلمـاء، والتعـاون مع الإخـوة في طلب الحـق، وما شابه ذلك .

ولو انقطع الدرس كله للتهذيب والتزكية، لما كان كثيراً على أدب جم، يوصل للعلم، وأهلـه، وقد قـال بعض السـلف لما لحظ على بعض أهل الحديث شيئاً:

(أُنتم إلى شئ من الأدب، أحوجُ منكم إلى الحديث)..!

وكان يحضر مجلس الإمام أحمد رحمه الله خمسة آلاف طالب، خمسمائة يكتبون، والبقية الكاثرة تتعلم الهـدي والسمت الحسن.

فهو هاهنا يعلمهم سـجاياه وسـمته وهيئتـه، ولم يكتف بـالنطق والرد والمناصحة، بل أصلح باطنه وظاهره، فطارت الأفئدة تتعلم منه، رحمه الله...

(10) المؤسسية الملتحِمة:

ما المانع أن تتحول جهود الشـيخ العلمية والفكريـة، إلى مؤسسة واحدة، إذا تيسر لها الدعم السخي؟!! فتنفق على فقراء الطلبة، ومحتاجيهم، وتطبع علوم الشيخ وفتاويه، وتؤسس لمكتبة عـامرة في المسجد.

ولكن هــذا يحسن ويسـتقيم، اذا تــوفر للشــيخ الأسـتاذ، العقل الــواعي، الــذي يجعله يثق بالعمل المؤسسي لمواجهة كل تحــد، وأن يبث في عقول تلاميـذه تلكم الفكـرة ليشـبوا عليها ويروجـوا لها.

لم يعد ينفع هذه الأيام، العمل الفردي المجرد، الذي لا يحظى بمظلة رسـمية أو شـعبية، بل سـيكون مصـيره الإعياء والتقهقر مع مرور الزمن، والله الموفق.

وصــلى الله وســلم على عبــده ورســوله، نبينا محمد وعلى آله وصحبه.